

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حِفْظُ مَقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ اتِّبَاعَ هَدْيِهِ أَرْبَحَ تِجَارَةً، وَأَمَرَ بِالِإِصْلَاحِ وَالْعِمَارَةِ، وَنَهَى عَنِ
أَسْبَابِ الْفَسَادِ وَالْخَسَارَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، تَتَوَالَى عَلَى الْعَالَمِينَ
مِنْهُ وَنِعْمَتُهُ، وَيُحِيطُ بِالْخَلْقِ فَضْلُهُ وَكَرَمُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَعَلَ الطُّهْرَ
وَالنَّظَافَةَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَعِمَارَةَ مَوَارِدِ الْخَيْرِ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَحَذَرَ مِنْ إِيْذَاءِ النَّاسِ وَجَعَلَ
ذَلِكَ مِنَ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَتَابِعِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ، إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿١﴾، وَاعْلَمُوا
- رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِنَ الْأَمَانَةِ حِفْظَ مَقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ، وَصِيَانَةَ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ، أَلَّا
وَإِنَّ جَوْهَرَ الْحَيَاةِ طَهَارَةَ الْقُلُوبِ، وَمُرَاقِبَةَ اللَّهِ عِلْمَ الْغُيُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي
فِي الصُّدُورِ ﴿٢﴾، فَلَا حَيَاةَ لِمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ وَإِنْ تَحَرَّكَتْ مِنْهُ الْيَدَانِ، وَلَا نُورَ لِمَنْ أَظْلَمَ قَلْبُهُ
وَإِنْ أَبْصَرَتِ الْعَيْنَانِ، وَلَا سَمْعَ لِمَنْ رَانَ لُبُّهُ وَإِنْ سَلِمَتِ الْأُذُنَانِ، وَمَنْ سَلِمَ قَلْبُهُ وَقَرَّ فِيهِ
الْإِيمَانُ وَالْبِرُّ، وَسَعَى إِلَى كُلِّ إِصْلَاحٍ وَخَيْرٍ، وَكَفَّ عَنِ كُلِّ فِسَادٍ وَضُرٍّ، وَنَهَى عَنِ كُلِّ
تَدْمِيرٍ وَشَرٍّ، كَيْفَ لَا؟ وَهُوَ يَسْمَعُ قَوْلَ الْحَقِّ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣﴾، وَالْإِحْسَانُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ

(1) سورة الأحزاب / ٧٠-٧٣ .

(2) سورة الحج / ٤٦ .

(3) سورة الأعراف / ٥٦ .

صَلَاحٍ، شَامِلَةٌ لِكُلِّ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْفَلَاحِ، فَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ))، إِنَّ الْإِصْلَاحَ وَحَفِظَ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ سُلُوكٌ مُتَّصِلٌ فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ، يَلْزِمُهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَيُصَاحِبُهُ فِي الرَّخَاءِ وَالْمِحَنِ، فَهُوَ لَا يُفْسِدُ وَإِنْ خَلَا، وَلَا يَعْبَثُ بِمَقُومَاتِ الْحَيَاةِ وَإِنْ تَمَكَّنَ وَعَلَا، لِأَنَّهُ يُدْرِكُ أَنَّ الْفَسَادَ بَغِيضٌ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِصْلَاحَ مُوجِبٌ لِعَفْوِهِ وَرِضَاؤِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَلْتَأَسَّ مِنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ - وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُ﴾ (١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَقَدْ حَرَّصَ الْمُؤْمِنُونَ فِي مُخْتَلَفِ الْأَمْكَنَةِ، وَسَعَى الْمُتَّقُونَ عَلَى مَرِّ الْأَزْمِنَةِ، عَلَى مَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْ مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، بِنَفْعِ النَّاسِ بِكُلِّ مَا فِي إِمْكَانِهِمْ وَوَسْعِهِمْ، وَخَيْرِ الْخَلْقِ أَنْفَعَهُمْ لَهُمْ، فَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَى عِيَالِهِ))، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ لِحَيَاتِهِمْ، وَيَلْزِمُهُمْ فِي جَمِيعِ شُؤُونِ مَعَاشِهِمْ، الْمَاءُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَجْلِ النِّعَمِ، وَأَعْظَمِ الْمَنِّ وَالْكَرَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢)، إِنَّ إِيجَادَ الْمَصَادِرِ الْمَائِيَّةِ، وَحِفْظَهَا وَصَوْنَهَا خِدْمَةٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَطَاعَةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَقَدْ عَدَّ الرَّسُولُ ﷺ سَقْيَ الْمَاءِ مِنْ أَفْضَلِ الصَّدَقَاتِ، فَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: سَقْيُ الْمَاءِ))، وَكَمَا رَغِبَ الْإِسْلَامُ فِي إِيجَادِ الْمَصَادِرِ الْمَائِيَّةِ، وَجَعَلَهُ مِنَ الشُّعْبِ الْإِيمَانِيَّةِ، فَإِنَّهُ نَهَى نَهْيًا حَازِمًا عَنْ تَدْمِيرِهَا، وَمَنْعَ كُلِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِ تَلْوِيثِهَا، فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يَتَخَلَّى الرَّجُلُ تَحْتَ شَجَرَةٍ

(1) سورة البقرة / ٢٠٤-٢٠٦ .

(2) سورة الأنبياء / ٣٠ .

مُثْمَرَةً، وَنَهَى أَنْ يَتَخَلَّى عَلَى ضِفَّةِ نَهْرٍ جَارٍ))، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السَّقَاءَ))، وَمَعْنَى "أَوْكُوا السَّقَاءَ" أَي ارْبَطُوا فُوهَاتِ أَوَانِي الْمَاءِ لِحِمَايَتِهَا مِنَ التَّلَوُّثِ وَالْأَوْبَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَقَدْ حَارَبَ الْإِسْلَامُ الْقِيمَ وَالْعَادَاتِ الْإِسْتِهْلَاكِيَّةَ الْمُسْرِفَةَ، وَأَبْرَزَ مَدَى خَطَرِهَا عَلَى الْمُجْتَمَعِ، فَعَمِلَ عَلَى إِرْسَاءِ الْعَادَاتِ وَالْقِيمِ الْإِسْتِهْلَاكِيَّةِ الرَّشِيدَةِ، الَّتِي تُوَازِنُ بَيْنَ الْمُتَّحِ وَالْمَطْلُوبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنَئْ أَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)، بَلْ إِنَّهُ نَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ فِي أَغْرَاضِ الْوُضُوءِ أَوْ الْاِغْتِسَالِ، فَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: ((مَا هَذَا السَّرْفُ يَا سَعْدُ؟)) فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ سَرْفٌ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ))، فَالْتَوَسَّطُ الرَّشِيدُ هُوَ مَسْلَكُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ خَيْرُ ضَمَانٍ لِحِمَايَةِ التَّوَازُنِ الْبَيْئِيِّ مِنْ أَجْلِ اسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ عَلَى كَوَكَبِ الْأَرْضِ. إِنَّ مُعْظَمَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي أُجْرِيَتْ حَوْلَ مُشْكَلاتِ التَّلَوُّثِ الْبَيْئِيِّ أَكَّدَتْ وَجُودَ عِلَاقَةٍ وَثِيْقَةٍ بَيْنَ إِسْرَافِ الْإِنْسَانِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ عَنَاصِرِ الْبَيْئَةِ الْمُخْتَلَفَةِ وَبَيْنَ التَّلَوُّثِ الْبَيْئِيِّ بِجَمِيعِ أَشْكَالِهِ، عَلَى أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى التَّوَسُّطِ وَالْاِعْتِدَالِ لَا تَعْنِي بِطَبِيعَةِ الْحَالِ أَنَّ يَقِفَ الْإِنْسَانُ مَكْتُوفَ الْأَيْدِي إِزَاءَ النُّظْمِ الْبَيْئِيِّ الْمَحِيطَةِ بِهِ، أَوْ أَنَّ يُعْطَلَ أَدَاءَ وَاجِبِ التَّعْمِيرِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ أَمَانَةُ الْاِسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، بَلْ يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ نُّظْمِ الطَّبِيعَةِ وَالْبَيْئَةِ بِمَا يُمَكِّنُهُ مِنْ تَطْوِيرِ حَيَاتِهِ دُونَ إِسْرَافٍ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَوَارِدِ الطَّبِيعِيَّةِ أَوْ جُورٍ عَلَى حُقُوقِ الْآخَرِينَ. وَكَمَا جَاءَ الْأَمْرُ بِصَوْنِ الْمَاءِ وَالْحِفَافِ عَلَيْهِ، أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِالْمَحَافَظَةِ عَلَى نَقَاءِ الْهَوَاءِ لِحَاجَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثُ فِيهَا التَّحْذِيرُ مِنَ التَّهَافُوتِ بِالتَّلَوُّثِ الْهَوَائِيِّ وَمَا قَدْ يَصْحَبُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ مِنَ الْأَمْرِ بِإِطْفَاءِ النَّارِ، وَعَدَمِ تَرْكِهَا مُشْتَعِلَةً عِنْدَ النَّوْمِ، وَهَذَا مَا أَثْبَتَهُ عُلَمَاءُ الْبَيْئَةِ

فِي هَذَا الْعَصْرِ، فَإِنَّ النَّارَ بِمَا تُطْلَقُ فِي الْجَوِّ مِنْ غَازَاتٍ وَأَدْحِنَةٍ تَحْتَوِي عَلَى مِثَاتِ الْمُلَوَّنَاتِ الْهَوَائِيَّةِ. وَمِنْ أَنْوَاعِ التَّلَوُّثِ الْبَيْئِيِّ الَّذِي يَشْكُو مِنْهُ عَصْرُنَا؛ التَّلَوُّثُ السَّمْعِيُّ بِالضَّوْضَاءِ وَالْأَصْوَاتِ الْعَالِيَةِ الَّتِي تُحْدِثُ أضرارًا جَسِيمَةً لِلأَشْخَاصِ الْمُعْرَضِينَ لَهَا، وَقَدْ نَهَى الْإِسْلَامُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ؛ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ، إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٢).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَحَافِظُوا عَلَى نِعَمِ اللَّهِ حَوْلَكُمْ، وَاحْرِصُوا عَلَى صَوْنِ مَقُومَاتِ حَيَاتِكُمْ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ طَاعَةَ رَبِّكُمْ، وَصِحَّةَ أَجْسَامِكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعِلْمَ دَلِيلًا إِلَى الْخَيْرَاتِ، وَسَبَبًا فِي تَنْمِيَةِ الْمَوَارِدِ وَالْمُكْتَسَبَاتِ، وَنُورًا هَادِيًا إِلَى الْجَنَّاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاطَبَهُ رَبُّهُ جَلَّ وَعَلَا بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣)، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

(1) سورة الحجرات / ٢-٣ .

(2) سورة لقمان / ١٩ .

(3) سورة يوسف / ١٠٨ .

إِنَّ الْمَشَارِيعَ النَّمَوِيَّةَ مَهْمَا اخْتَلَفَتْ أَهْدَافُهَا وَأَعْرَاضُهَا، وَمَقُومَاتِ الْحَيَاةِ مَهْمَا تَعَدَّدَتْ أَشْكَالُهَا؛ فَإِنَّهَا تَتَفَقُّ فِي الْهَدَفِ الْعَامِّ، الْمُتَمَثِّلِ فِي تَحْقِيقِ سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ، فَكُلُّ مَا فِي الطَّبِيعَةِ مُسَخَّرٌ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (٢)، وَأَنْزَلَ اللَّهُ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ وَذَكَرَهُ الْحَكِيمَ، مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)، وَالْبَيِّنَةُ الصَّحِيَّةُ النَّظِيفَةُ إِنَّمَا وَجِدَتْ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ، وَلَا يَتِمُّ تَحْقِيقُهَا إِلَّا بِجُهِودِ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، فَهُوَ الَّذِي يُخَطِّطُ لَهَا، وَيَسْهَرُ عَلَى تَنْظِيمِهَا، وَيُشْرِفُ عَلَى تَنْفِذِهَا، وَذَلِكَ كُلُّهُ يَتَطَلَّبُ تَهْيِئَةَ الْإِنْسَانِ وَتَأْهِيلَهُ لِلْقِيَامِ بِعَمَلِيَّةِ التَّنْمِيَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ وَسِيلَةٍ تَهْيِئَةٍ وَتَوْهِيلَةٍ لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ أَفْضَلَ وَأَوْلَى مِنْ التَّعْلِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٤)، فَلَا غَرَابَةَ أَنْ اهْتَمَّ الرَّعِيلُ الْأَوَّلُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، بِهَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمُهِمَّةِ، لِيُحَقِّقَ التَّنْمِيَةَ الْمُنَشُودَةَ، وَيَصِلَ إِلَى الْأَهْدَافِ الْمَقْصُودَةِ، فَإِنَّ التَّعْلِيمَ يُمَثِّلُ الْإِنْطِلَاقَ السَّلِيمَةَ لِلنُّهُوضِ بِالْأُمَّمِ، وَحِفْظَهَا مِنَ التَّخَلُّفِ وَالتَّدَهُّورِ وَالْإِنْطِطَاطِ الْحَضَارِيِّ، فَالتَّعْلِيمُ هُوَ الْأَسَاسُ لِبَقِيَّةِ مَجَالَاتِ التَّنْمِيَةِ. إِنَّ تَعْلِيمَ الْإِنْسَانِ وَتَرْبِيَّتَهُ، وَتَهْيِئَتَهُ لِلْحِفَاطِ عَلَى مَقُومَاتِ الْحَيَاةِ فِي أَيِّ مَجَالٍ، وَتَنْمِيَّتِهَا لِمَا يَعْقِبُهُ مِنَ الْأَجْيَالِ، يُعَدُّ ضَرُورَةً دِينِيَّةً وَفَرِيضَةً شَرْعِيَّةً، لِيُصْبِحَ الْفَرْدُ الْمُتَعَلِّمُ أَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ لَا يَأْتِ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِذَا تَوَجَّهَتْ إِلَى الْمَجَالِ الْاِقْتِصَادِيِّ أَسْهَمَ فِي تَنْمِيَّتِهِ وَتَطْوِيرِهِ، وَكَذَلِكَ إِذَا تَوَجَّهَتْ إِلَى الْمَجَالَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ أَوْ الْمَجَالَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ

(1) سورة الجاثية / ١٢-١٣.

(2) سورة الملك / ١٥ .

(3) سورة النحل / ٤٤ .

(4) سورة الزمر / ٩ .

لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيَّمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١﴾، وَالتَّغْيِثُ التَّغْلِيمِيَّةُ تُؤَدِّي حَتْمًا إِلَى تَتَمِّيَةِ الْمَجَالَاتِ الْأُخْرَى، وَتُسَهِّمُ إِسْنَهَامًا فَاعِلًا فِي تَطْوِيرِهَا، وَالْوَاقِعُ التَّارِيخِيُّ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَفِي الْعِيَانِ غُنْيَةٌ عَنِ الْبَيَانِ، وَكَيْفَ يُحَافِظُ عَلَى مَقَوِّمَاتِ حَيَاتِهِ مَنْ يَجْهَلُهَا؟ أَمْ كَيْفَ يَصُونُ بَيِّنَتَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا؟

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاجْعَلُوا مِنَ الْعِلْمِ دَلِيلًا لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، وَنُورًا لِإِضَاءَةِ مَسِيرَةِ حَيَاتِكُمْ؛ يَرْفَعِ اللَّهُ مَقَامَكُمْ، وَيُسَدِّدُ أَقْوَالَكُمْ وَأَفْعَالَكُمْ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلَيْنَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا

(1) سورة النحل / ٧٦ .

(2) سورة الأحزاب / ٥٦ .

صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعَلِمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اعْزِزْ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عباد الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.